شهرية السياسة الدولية

«لا يزال العالم فى قلق رغم الجهود المبذولة فى سبيل استقراره .» هذه هى العبارة التى نستطيع أن نعقب بها على حوادث العالم فى الشهر المنقضى : فى الصين مظاهرات تنادى بخروج الأميريكيين ، وفى الهند الصينية ملحمة بين قواتها الوطنية وجيش الاحتلال الفرنسى ، وفى أندونيسيا استئناف للمقاتلة بين أهلها والهولنديين ، وفى الهند نزاع على أشده بين الهندوكيين والمسلمين ، وفى إيران اتساع لمسافة الخلف المسلح بين حكومة طهران المركزية ونظام أذربيجان المعترف بذاتيته منذ وقت قريب ، وفى العراق مشادة بين الأحزاب حول حرية الانتخاب ، وفى سوريا ولبنان وشرق الأردن عدم انسجام فى الرأى بصدد « سوريا الكبرى » والعلاقة مع تركيا ، وفى تركيا بالذات مقاومة لحركات حزبية متهمة بالاتجاه شطر الاتحاد السوفييتى واليسار ، وفى اليونان حرب أهلية سافرة تذكر ظروفها بالحرب الأهلية الاسبانية الأخيرة من ناحية موضوع الخلاف الداخلى ومن ناحية انقسام التأييد الخارجى أيضا ، وسائر بلاد البلقان محل اتهام من ناحية الانجليز والأميريكان إذ يحتجون بمذكرات على عدم حرية الانتخاب فى بلغاريا ورومانيا وعلى مواقف معادية فى ألبانيا ، وكذلك الموقف من يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ، وفى إيتاليا حيث كان أهلها ينتظرون جلاء قوات الاحتلال هذه السنة يعلن أن هذا الاحتلال مستمر فيها إلى سنة ١٩٤٩ ، وفى فرنسا يبدأ بالكاد عند كتابة هذه السطور عهد الجمهورية الرابعة إذ ينتخب رئيسها الجديد ، او تتخذ إجراءات انتخابه ولما تصف الخلافات الجدية القائمة بين الاحزاب ، وفى ركننا المحدود تتطور الأحوال فى فلسطين نحو الحل الذى يراد فرضه على الجانبين ، وتتسع شقة الخلاف بين انجلترا ومصر على كيان السودان وطبيعة التحالف ، وفى برقة وطرابلس وسائر بلاد المغرب شكوى من نظام الاستعمار ومطالبة بالسيادة والاستقلال ، وفى أميريكا البعيدة عن هذا العالم القديم يميل فريق من أصحاب المكانة السياسية إلى تأليف حزب جديد يقتسم الميدان مع الجمهوريين والديمقراطيين .

وذلك كله من دلالات القلق القاطعة .

وقد جاءت الحوادث الأخيرة تزيد من مضاعفاتها ، إذ طلبت حكومة إيران من الاتحاد السوفييتى تسليم بعض زعماء الحركة الأذربيجانية الذين قصدوا إلى أراضيه ، فرفض الاتحاد السوفييتى طلب الحكومة الايرانية لأنه يعتبر أولئك الزعماء لاجئين سياسيين ، ولا يوجد بين إيران والاتحاد السوفييتى معاهدة تسليم اللاجئين ، وتريد حكومة طهران أن تعتبر الزعماء الذين تطلبهم مجرمين عاديين ، إذ قاموا فى نظرها بأعمال قتل ونهب واغتصاب أموال من أهل أذربيجان .

كذلك ضاعفت الأحوال الداخلية فى الولايات المتحدة اضطرابات فكرية وقعت لمناسبة الاجتماع الأول لمجلس الكونجرس الجديد ، وهو الذى أسفرت الانتخابات الأخيرة عن كثرة جمهورية فيه بعد أن كانت كثرته السابقة ديمقراطية فدعا هذا

الوضع إلى شئ من الشذوذ ؛ إذ لا يزال الرئيس ترومان هو المتولى الحكم فى الولايات المتحدة ، وهو ديمقراطى الحزبية ، وهو مطالب بأن يحكم مع كثرة جمهورية مناوئة لحزبه . وتوقع المراقبون أن تحدث أزمات عنيفة بين السلطة التنفيذية ومجلس الكونجرس وأن يقف هذا الأخير حجر عثرة فى سبيل كل مشروع يقدمه الوزراء حتى يضطروا إلى الاستقالة واحدا بعد الآخر . فاذا جاءت انتخابات الرياسة فى أول عام ١٩٤٨ لم يكن فى الوزارة غير قلة من الحزب الجمهورى . وقد بدأ شئ مما توقع المراقبون ؛ إذ استقال وزير الخارجية مستر بيرنز الذى أدى خلافه مع وزير التجارة مستر والاس إلى استقالته ، ومستر والاس هو الساعى الآن إلى تأليف الحزب الثالث الجديد .

ولحق غبار بصفاء العلاقات بين فرنسا من ناحية وانجترا والولايات المتحدة من ناحية أخرى على أثر الخلاف الذى قام حول انفراد الدولتين الانجلوسكسونيتين باستثمار بعض آبار البترول فى العربية السعودية ، وزعم فرنسا أن اتفاقية استثمار بترول العراق تنص على مساهمة فرنسا معهما فى استثمار جميع الآبار الواقعة فى الأراضى التى كانت جزءا من الدولة العثمانية قبل قيام الحرب العالمية الأولى ، وأراضى العربية السعودية من تلك الأراضى . وذهب الخلاف إلى حد الاتجاه إلى عرضه على القضاء .

على أن ذلك القلق البادى فى هذه اللوحة التى رسمناها لمواقف العالم خلال الشهر المنقضى يقابله مجهود يبذل فى سبيل الاستقرار ، وقد صدر أكثره عن هيئة الأمم المتحدة وعن اجتماعات وزراء الخارجية للدول الأربع العظمى ، كما صدر عن إجراءات داخلية فى الولايات المتحدة ومجاملات تتبادل بين ممثلى الجيش البريتانى والسوفييتى ، وعن مساع يبذلها رئيس الحكومة الفرنسية فى لندن بالذات . وكان من شأن اجتماعات وزراء الخارجية أن مهد السبيل لكثير من المشاكل وأصبح من المأمول أن يعقد اجتماعهم بموسكو فى شهر مارس المقبل فى جو أنقى من الأجواء التى عقدت فيها اجتماعاتهم حتى اليوم ، وأن تتقارب وجهات النظر إلى المسألة الألمانية بحيث يوقع الصلح مع ألمانيا خلال هذا العام المبتدئ . وكان من شأن عناية هيئة الأمم المتحدة أن تقرر إرسال لجنة تحقيق إلى اليونان تميط اللثام عما يقال من أن مساعدات جدية تقدم للثوار اليونانيين من جانب الأقاليم البلغارية واليوجوسلافية المتاخمة . فقد أذيع أن الثوار استعدادا للتحقيق قد نقلوا مراكز هجومهم إلى الجنوب حتى يستطيعوا دعوى الاتصال بينهم وبين دول أجنبية . فاذا ثبت عدم اتصالهم عن طريق الاقناع الجديد فان شيئا من ظل الاتهام بالتحريض الأجنبى سيتقلص ، وقد يعمل هذا التقلص على الحد من مدى إساءة الظن المتبادلة بين الانجلوسكسونيين والسلافيين .

وكذلك كان من شأن التفاهم على الموقف من حكومة الجنرال فرنكو ، وهو الموقف الذى يقضى بسحب التمثيل السياسى من مدريد ، فلّ لحدة الخلاف الذى كان متجليا فى العلاقات بين الكتلتين الجبارتين . وقد كان عدم الوصول إلى هذا الموقف الموحد محل ذبذبة فى العلاقات الدولية طوال العالم المنقضى .

ولا شك أن ما قد أعلن حتى اليوم عن الاتجاهات البادية فى لجنة تنظيم الطاقة الذرية فى هيئة الأمم المتحدة مما يسجل فى قائمة الجهود الخيرة المبذولة فى سبيل الاستقرار العالمى .

ولعل زيارة الجنرال مونجوموری رئيس هيئة أركان حرب الجيوش البريتانية لموسكو ومقابلته للمارشال ستالين ذاته وما تبودل خلال الزيارة من مجاملات بين رؤساء الجيشين السوفييتى والبريتانى مما يزيد فى تأييد تفاؤل

المتفائلين الذين تلوح لهم العلاقات بين الكتلة الانجلوسكسونية والكتلة الصقلبية الآن أقل توتراً مما كانت عليه أثناء انعقاد مؤتمر الصلح فى باريس .

ولعل استبدال الجنرال مارشال بمستر بيرنز فى وزارة الخارجية الأميريكية يعين على دعم قول القائلين بأن الظروف منتهية إلى إملاء خطة التفاهم مع روسيا على الدولتين الانجلوسكسونيتين . فابعاد مستر بيرنز يخفف فى ذاته من وطأة ذكرى المواقف المريرة التى وقفها من الرفيق مولوتوف طوال مؤتمر الصلح فى باريس ، والعودة إلى الرئيس الأعلى لهيئة أركان حرب الجيش الأميريكى أثناء الحرب توجه إلى إعادة ذكرى الوئام الذى كان سائدا طوال تلك الحرب بين الثلاث العظميات جميعا .

أما سفر رئيس الحكومة الفرنسية إلى لندن فمحاولة لتسوية الخلاف الناشئ عن مساهمة فرنسا فى بترول العربية السعودية وما إليها . ورئيس الحكومة الفرنسية الحالى هو مسيو بلوم ، ولشخصه مكانة بين حزب العمال المتولى الآن الحكم فى انجلترا . وعلى هذا الاعتبار يعتمد بلا ريب فى محاولته التسوية ، وإن كان يغلب أن يداعبه اعتبار آخر هو أن نجاحه فى التسوية يعينه على نجاح آخر فى السياسة الفرنسية الداخلية ، يقاوم به العقبات التى سيضعها الشيوعيون فى سبيل إعادة تأليفه الوزارة الجديدة من الاشتراكيين وحدهم .

ميل إلى التفاهم يبدو إذن فى أفق السياسة الدولية خلال الشهر المنقضى ، بفضل ما بذل فى مختلف البيئات من مجهود جبار فى سبيل التوفيق بين عديد وجهات النظر ، ولكن يتاخم هذا الميل إلى التفاهم جانب غير ميل من القلق لا يزال يصر على مساورته مالا يزال عالقا بنفوس الناس من ضعف الثقة المتبادلة بينهم .

ورجاؤنا أن تعمل حوادث العام الجديد . بل تعمل تطوراتها على دعم الميل إلى التفاهم . فيقل القلق وتزيد الطمأنينة ، وتستند العلاقات الدولية إلى المستقر من الاعتبارات ، فيصح على الأقل ذلك التصريح « المتواضع » الذى صدر أخيرا عن رجل الدولة العالمى الكبير الرئيس بنيش رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا ، وقد جاء فيه :

« إن العالم لن يعرف الحرب خلال الخمسين سنة المقبلة » .

محمود عزمى